الفصل الخامس
أشهر زعماء الخوارج

لكل فرقة وطائفة زعماؤها، يصدر القوم عن رأيهم، ويأتمرون بأمرهم، ويسترشدون بقولهم، ولهؤلاء الزعماء مزايا منها: قوة الأخذ بالمذهب، والدعوة إليه، وحمل الناس عليه، والشجاعة الفائقة.

وما كان الخوارج ببدع من الأمر في ذلك، فكان منهم الزعماء الذين يشار إليهم بالبنان، وقد تميز مذهبهم بجماعة من الزعماء كانوا المثل الأعلى في الأخذ بالمذهب، وكانوا يلهبون حماس الأتباع، بل أن ذكراهم بعد مماتهم كانت دافعا لأتباعهم للسير على نهجهم، والأخذ بآرائهم.

وسوف أعرض في هذه الصفحات سيرة بعض من هؤلاء القادة، ليظهر لنا كيف كان أخذهم بالمذهب، وكيف أسهموا في دعوة الناس إليه، ومدى تضحياتهم في سبيل المبدأ الذي اعتنقوه، ومن أشهر هؤلاء الزعماء: -

١ - عبد الله بن وهب الراسبي:-

من بني راسب، شهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص[(١)].

لما بعث ﷺ أبا موسى لإنفاذ الحكومة، اجتمع الخوارج في منزل عبد الله ابن وهب، فخطبهم خطبة بليغة، زهدهم في الله، اعتزل الفتنة، توفي عام

---

(1) سعد بن مالك بن أهيب، أحد العشرة المبشرين بالجنة، شهد المشاهد كلها، وكان أمير الجيوش يوم القادسية، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله .
الإصابة ٢/ ٣٣، الاستيعاب ٢/ ١٨.

٥٥هـ.

الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: اخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد على بعض كور الجبال، أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه الأحكام الجائرة[١].

وبعد هذه الخطبة أرادوا تولية أمير عليهم، فامتنع كثير منهم، حتى عرضوها عليه فقبلها وقال: والله ما أقبلها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقا من الموت.وكانت هذه البيعة لعشر بقين من شوال سنة سبع وثلاثين، وذكر بعض المؤرخين أنهم سموا بعد هذه البيعة الراسبية[٢].

وبعد أن اعتزلوا في النهروان خرج إليهم سيدنا عليّ وطالبهم بقتلة عبد الله بن خباب، فأبوا، وناظرهم فرجع منهم عدد كثير، ولم يبق مع عبد الله بن وهب إلا ألف أو أقل، فكف عنهم علي حتى يبدأوهم بالقتال، فبدأوا فقاتلهم علي وأصحابه، وقتل عبد الله بن وهب لسبع خلون من صفر سنة ثمان وثلاثين من الهجرة[٣].

وكان عجبا في كثرة العبادة، حتى لُقِّبَ بذي الثفنات، لكثرة سجوده صار في يديه وركبتيه كثفنات البعير[٤].

---

(1) البداية والنهاية ٧/ ٢٨١.

(2) البدء والتاريخ، مطهر بن طاهر المقدسي ٥/ ١٣٦. مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة.

(3) انظر: الطبري ٥/ ٨٥ – ٨٨، البداية والنهاية ٧/ ٢٨٩ – ٢٩٠.

(4) الإصابة ٥/ ١٠٠.

ولأبي بلال مرداس بن حدير شعرا في عبد الله بن وهب يمدح خروجه:-

أبعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى ... ومن خاض في تلك الحروب

أحب بقاءً أو أرجي سلامة ... وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا

فيا رب سلم نيتي وبصيرتي ... وهب لي التقى حتى ألاقي

٢- أبو بلال مرداس بن حدير:-

من بني ربيعة بن حنظلة من بني تميم، ويقال: ابن أدية، وأدية جدة له جاهلية[٢]، كان ناسكا تعظمه الخوارج، وكان كثير الصواب مجتهدا، وهو تابعي[٣].

كان كثير العبادة، دائم البكاء من خشية الله تعالى، مر بأعرابي قد طلى بعيرا له بالقطران فسقط مغشيا عليه، فظن الأعرابي أنه قد صرع فقرأ في أذنه، فلما أفاق قال له الأعرابي:قرأت في أذنك.

فقال له مرداس: ليس بي ما خفته علي، ولكني رأيت بعيرك قد هرج من القطران، فذكرت به قطران جهنم فأصابني ما رأيت، ثم تلا قول الله تعالى:

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[٤].

---

(1) أخبار الخوارج من الكامل ص ٦١.

(2) شرح نهج البلاغة ٤/ ١٣٢.

(3) لسان الميزان ٦/ ١٤ رقم ٤٩.

(4) سورة إبراهيم آية ٥٠، وانظر: الكامل لابن الأثير ٦/ ٣٦، أخبار الخوارج من الكامل للمبرد ص ٦٠.

وهو كعادة الخوارج في التعامل مع الولاة، يواجههم بما يعتقد أنه الحق، لا يصرفه عن كلمة الحق صارف ولو كان في ذلك حتفه. خطب عبيد الله بن زياد على المنبر فقال: والله لآخذن المحسن منكم بالمسيء، والحاضر منكم بالغائب، والصحيح بالسقيم، والمطيع بالعاصي، فقام إليه مرداس فقال: قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان، وما هكذا ذكر الله ﷻ عن نبيه إبراهيم عليه السلام إذ يقول: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [1] وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي، ثم تركه وخرج [2].

وهو إلى جانب هذا صاحب خلق وديانة، يصدق في حديثه، ويلتزم بعهده، حتى إن التزامه يفضي به إلى الهلاك، سجنه عبيد الله بن زياد، فكان السجان يرى عبادته واجتهاده فكان يأذن له في الليل

فينصرف إلى أهله، فإذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن، فذكر ابن زياد الخوارج يوما وعزم على أن يقتل من بالسجن منهم في الصباح، ووصل الخبر إلى مرداس، فبات صاحب السجن بليلة سوء إشفاقا من أن يعلم مرداس بالخبر فلا يرجع، فعلم مرداس بالخبر، ولما كان الوقت الذي يرجع فيه إذا به قد طلع. فقال له السجان: هل بلغك ما عزم عليه الأمير؟ قال: نعم. قال: ثم غدوت! قال: نعم، ولم يكن جزاؤك مع إحسانك أن تعاقب بسببي، فاستوهبه السجان من ابن زياد بعد أن قص عليه القصة

(1) سورة النجم الآيات ٣٧–٤١.

(2) أخبار الخوارج من الكامل ص ٣٨.

فوهبه له وأطلق سراحه[١].

خرج في أربعين من أصحابه فهزم جيشا للخلافة عدته ألفا مقاتل، ثم قتل بعد ان أرسل له ابن زياد بجيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل

وقد صار مرداس رمزا للتضحية والفداء عند الفرق كلها، حتى أن جماعة من أهل الأهواء تنتحله، فالمعتزلة تنتحله وتزعم أنه خرج منكرا لجور السلطان داعيا على الحق، وتنتحله الشيعة وتزعم أنه كتب إلى الحسين بن علي: أما أني لست أرى رأي الخوارج، وما أنا إلا على دين أبيك[٢].

٣- عروة بن حدير:-

أخو مرداس بن حدير، من أوائل الخوارج، قيل: إنه أول من

حكم ونادى بقوله: لا حكم إلا لله، وذلك حين مر الأشعث بن قيس بكتاب التحكيم يقرؤه على الناس، فقال له: أتحكمون في أمر الله ﷻ الرجال، لا حكم إلا لله، ثم شد بسيفه فضرب عجز دابته ضربة خفيفة فاندفعت الدابة وكادت تحدث فتنة[٣].

حضر معركة النهروان، وكان ممن نجا منها، وظل باقيا مدة خلافة معاوية حتى زمن زياد بن أبيه لما خرج يوما في رهان له، وجلس ينتظر الخيل، واجتمع الناس وفيهم عروة بن أدية، فأقبل على ابن زياد فقال:

---

(1) الطبري ٥/ ٣١٣، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ٥/ ٢٩٥، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤١٢هـ١٩٩٢م.

(2) أخبار الخوارج من الكامل ص ٣٨.

(3) البداية والنهاية ٧/ ٢٩٧، أخبار الخوارج من الكامل ص ١٦، البدء والتاريخ ٥/ ٢٢١، المنتظم ٥/ ١٢٣.

خمس كن في الأمم قبلنا قد صرن فينا ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾[١] وخصلتين لم يحفظهما الراوي، فلما قال ذلك ظن ابن زياد أنه لم يجترئ على ذلك إلا ومعه جماعة من أصحابه، فقام وركب وترك رهانه، فقيل لعروة: ما صنعت، والله ليقتلنك، فتوارى[٢]. واختفى عروة في الكوفة حتى أُخذ فأتي به زيادا ومعه مولى له، فسأله زياد عن أبي بكر وعمر فقال خيرا، ثم سأله فقال: ما تقول في أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأبي تراب علي بن أبي طالب؟ فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر، وفعل في أمر عليّ مثل ذلك إلى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر. ثم سأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا. ثم سأله عن نفسه، فقال: أولك لزنية وآخرك لدعوى[٣]، وأنت بعد عاص لربك. ثم أمر به فقطعت يداه ورجلاه، ثم دعا به فقال: كيف ترى؟ قال: أرى أنك أفسدتَ دنياي وأفسدتُ آخرتك. فضرب عنقه، ثم دعا موله فقال له: صف لي أموره. فقال: أأطنب أم أختصر؟ فقال: بل اختصر. فقال: ما أتيته بطعام بنهار قط، ولا فرشت له فراشا بليل قط[٤].

فقد كان في العبادة على جانب عظيم، صائم بالنهار قائم بالليل، ثم إنه يقول الحق لا يخاف في الله لومة لائم حتى في أحرج الأوقات، حتى بعد

---

(1) سورة الشعراء الآيات١٢٨–١٣٠.

(2) الطبري ٥/ ٣١٣، الكامل لابن الأثير٣/ ٣٦٠.

(3) يُعرِّض بنسبه، حيث كان يدعى زياد بن أبيه حتى استلحقه معاوية فدعى زياد بن أبي سفيان.

(4) أخبار الخوارج من الكامل للمبرد ص ١٧.

أن قطعت يداه ورجلاه وينتظر الموت.

٤- عمران بن حطان:-

عمران بن حطان بن ظبيان بن لوزان بن الحارث[١]، كنيته: أبو شهاب، وقيل: أبو سماك، وقيل: أبو دلان، والأشهر الأول[٢].

رأى عددا من الصحابة وحدث عنهم، روى عنه عدد من التابعين، وثقه العجلي وابن حبان[٣].

كان على مذهب جماعة المسلمين، ومبدأ خروجه أن ابنة عم له رأت رأي الخوارج فتزوجها ليردها عن ذلك، فصرفته إلى مذهبها[٤].

صار من كبار الخوارج، وهو شاعر مجيد، أثنى عليه الفرزدق[٥]، وأبياته في مدح ابن ملجم قاتل عليّ ﷺ مشهورة.

ولأنه انتسب إلى المذهب كبير السن، فلذا كان لا يباشر القتال، وإنما كان من القعدة الذين يحسنون لغيرهم الخروج ولا يباشرون القتال، ومن أبياته في تحسين الخروج قوله بعد قتل أبي بلال:-

لقد زاد الحياة إليّ بغضا وحبا للخروج أبو بلال

---

(1) الإصابة لابن حجر ٥/ ٣٠٢، تهذيب الكمال للمزي ٢٢/ ٣٢٢.

(2) المراجع السابقة.

(3) التاريخ الكبير ٦/ ٤١٣، الثقات لابن حبان ٥/ ٢٢٢، معرفة الثقات للعجلي ٢/ ١٨٩.

(4) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٤، الإصابة ٥/ ٣٠٢.

(5) سير أعلام النبلاء. مرجع سابق، والفرزدق هو: همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي البصري، رأى عددا من الصحابة، كان أشعر أهل زمانه مع جرير والأخطل، مات سنة ١١٠هـ. سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩١.

أحـــاذر أن أمـــوت عـــلى فـــراشي وأرجـو المـوت تحـت ذرى العـوالى
ولـــو أني علمـــت بـــأن حتـــفي كحتـــف أبي بـــلال لم أبالـــي
فمـــن يـــك همـــه الـــدنيا فإنـــي لهـــا والله رب البيـــت قـــال[1]

ساند عمران الخوارج بشعره، ومدح فعالهم، ورثى قتلاهم، ودعا الناس إلى مذهبهم، استشهد البخاري به، ووثقه أبو داود؛ لأن الخوارج لا يكذبون في حديثهم، توفي سنة أربع وثمانين.

٥- نافع بن الأزرق:-

نافع بن الأزرق الحنفي، كان من رءوس الخوارج، وإليه تنسب طائفة الأزارقة، وكان شجاعا مقدما في فقه الخوارج[2].

كان يطلب العلم، وسمع من عبد الله بن عباس، وله معه أسئلة في تفسير كثير من كلمات القرآن، وقد أخرج الطبراني جزءاً منها في مسند ابن عباس[3].

كان يفتي بأن الدار –دار المخالفين– دار كفر، وأنهم جميعا في النار، وكل من فيها كافر، ولا يحل لهم أن يأكلوا من ذبائحهم، ولا أن يناكحوهم، ولا يتوارث الخارجي وغيره، وهم مثل كفار العرب وعبدة الأوثان، لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف...الخ.وقد خرج عنه نجدة بن عامر، وبينهما مراسلات في أوجه الخلاف بينهما[4].

---

(1) أخبار الخوارج من الكامل ص ٨.
(2) شرح نهج البلاغة ٤/ ١٣٦.
(3) لسان الميزان لابن حجر. ترجمة نافع ٦/ ١٤٤.
(4) أخبار الخوارج من الكامل ص٨٧، شرح نهج البلاغة ٤/ ١٣٨ –١٣٩.

وعندما تولى عبد الله بن الزبير التف عليه جماعة من الخوارج منهم نافع بن الأزرق، فلما استقر أمره في الخلافة قالوا: إنكم قد أخطأتم لأنكم قاتلتم مع الرجل ولم تعلموا رأيه في عثمان، فسألوه- وكانوا ينتقصون عثمان- فأجابهم بما يسوؤهم، وعند ذلك نفروا عنه[١].

وأقام نافع في أصحابه بالأهواز يستعرض الناس، ويقتل الأطفال، ويأخذ الأموال، ويجبي الخراج، وفشا عماله بالسواد، فارتاع لذلك أهل البصرة وسألوا الأحنف أن يؤمر عليهم من يحميهم من الخوارج فأمر عليهم مسلم بن عبيس بن كريز[٢]، فتقاتل مع نافع وأصحابه في "دولاب" قتالا شديدا، فقُتل ابن عبيس وقُتل نافع بن الأزرق[٣].

٦- قطري بن الفجاءة: -

هو أبو نعامة قطري بن الفجاءة التميمي المازني، واسم الفجاءة: جعونة بن مازن[٤].

كان من الشجعان المشاهير، وله شعر بليغ وخطب فصيحة، وقد آل إليه أمر طائفة الأزارقة بعد قتل الزبير بن عليّ، فأرادوا تولية عبيدة بن هلال، فقال: أدلكم على من هو خير لكم مني، من يُطاعن في قُبُل، ويحمي

---

(1) البداية والنهاية ٨/ ٢٣٨.

(2) مسلم بن عبيس بن كريز: رسله عبد الله بن الحارث في أهل البصرة لقتال الخوارج، فقاتلهم قتالا شديدا، وقتل في المعركة.
تاريخ الطبري ٣/ ٤٠٠.

(3) أخبار الخوارج من الكامل ص ٩٠ - ٩١.

(4) سير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٢.

في دُبُر، عليكم بقطري بن الفجاءة، فبايعوه[١].

خرج بمن معه إلى الأهواز وما حولها، فحاربوا وابلوا بلاءً حسنا، وكان المهلب بن أبي صفرة هو القائد الذي انتدب لقتالهم، وظل ثمانية عشر شهرا لا يصل معهم إلى شئ، حتى قال: إني منتظر بهم إحدى ثلاث: موت ذريع، أو جوع مُضر، أو اختلاف بين أهوائهم[٢].

وقد تحققت له الثالثة، فدب الخلاف بينهم–كعادتهم– حتى فارقوا قطري، ولم يبق معه إلا عدد قليل، فضعف أمره، وخرج إلى طبرستان، فوجه إليه الحجاج جيشا فلحقه وقد تفرق عنه أصحابه فقُتل[٣].

وقد ظل قطري يحارب نيف عشرة سنة، ويُسلَّم عليه بالخلافة، وكانت وفاته سنة سبع وسبعين على الراجح، ولم يعقب[٤].

٧- شبيب بن يزيد:-

شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلت بن قيس بن شراحيل الشيباني[٥].

كان فارسا عديم النظير، ومن صفاته الجسمية أنه طويل أشمط جعد آدم[٦]، وزوجته غزالة لم ير من النساء أشجع منها.

---

(1) شرح نهج البلاغة ٤/ ١٦٨.

(2) أخبار الخوارج من الكامل ص ١٤٢.

(3) الطبري ٦/ ٣٠٩ وما بعدها، الكامل لابن الأثير ٤/ ٤٤١ وما بعدها.

(4) انظر: الطبري ٦/ ٣٠٩، الكامل لابن الأثير ٤/ ٤٤١، البداية والنهاية ٩/ ٣١، سير أعلام النبلاء٤/ ١٥٢، المعارف لابن قتيبة ص ١٨١.

(5) البداية والنهاية ٩/ ٢١.

(6) وفيات الأعيان وأنباء الزمان.لأبي العباس شمس الدين بن خلكان ٢/ ٤٥٥،

كان بداية خروجه استجابة لصالح بن مسرح في دعوته للخروج، ولما اكتمل عددهم مائة وعشرة أنفس شدوا على خيل لمروان بن محمد فأخذوها، فسير جيشا لحربهم، فهزموه، ثم توفي صالح سنة ست وتسعين[١].

عُهِد بالأمر بعده إلى شبيب، فهزم جيوش الحجاج مرات حتى إن غزالة دخلت الكوفة وصلت في مسجدها مع مائتين من نساء الخوارج وفاءً لنذر عليها.

جمع الحجاج له خمسين ألفا وخرج لقتاله؛ فكانت وقعة شديدة قتل فيها أخو شبيب وغزالة، وتقهقر شبيب إلى الأهواز، فلما وصل إلى جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر، فقال: ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾[٢]، وألقي به إلى الساحل ميتا، وذلك سنة سبع وسبعين[٣].

قال ابن كثير: (ولولا أن الله تعالى قهره بما قهره به من الغرق لنال الخلافة إن شاء الله، ولما قدر عليه أحد)[٤].

٨- نجدة بن عامر:-

ويقال: نجدة بن عويمر الحنفي، من كبار قادة الخوارج، شارك في

تحقيق د/ إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت ١٩٦٨ م.

(1) سير أعلام النبلاء ٤/ ١٤٨.

(2) سورة يس من الآية ٣٨.

(3) انظر: الطبري ٦/ ٢١٨، البداية والنهاية ٩/ ٢٠، مروج الذهب ٣/ ١٠٨.

(4) البداية والنهاية ٩ / ٢٠.

الدفاع عن الكعبة مع عبد الله بن الزبير عام أربعة وستين من الهجرة، وكان قد خرج من اليمامة يريد الأزارقة، أتباع نافع، فاستقبله نفر من أهل عسكر نافع وأخبروه ومن معه بما فعله نافع من استحلاف قتل الأطفال والنساء والمخالفين، والبراءة من القاعدين عن القتال وإن كانوا على رأيه، فخرج عليه، وراسله وبين له أخطاءه، ورد عليه نافع في رسائل متبادلة فيما بينهما[١].

بُويع بالخلافة وسمي أمير المؤمنين، وعظم أمره، واستولى على أماكن كثيرة، وحج بالناس سنة ست وستين من الهجرة[٢].

لم يزل قويا إلى أن اختلف عليه أصحابه بسبب أمور نقموها عليه، فلما علم بتآمرهم عليه استخفى، حتى زوجته ليعهد إليها، فعلم الفديكية به فقاتلوه، وكان يقاتلهم بشجاعة حتى قتل في السنة الثانية والسبعين من الهجرة[٣].

تعقيب: من خلال دراسة هذه التراجم، يمكننا أن نستنتج ما يلي:-

أولاً: أن زعماء الخوارج امتازوا بالشجاعة المفرطة التي تصل إلى حد التهور، وقول الحق الذي يعتقدونه صوابا، مهما يكن من أمر المخالف وقوة بأسه، وقد نقلوا هذه الشجاعة لأتباعهم، فكانوا –أي الفرقة – خير مثال على الشجاعة، لكنها شجاعة غير واعية، وليست مسئولة.

---

(1) انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ١٧٤، شرح نهج البلاغة ٤/ ١٣٣، أخبار الخوارج من الكامل ص ٨٧.

(2) انظر: الطبري ٦/ ١٣٨، تاريخ خليفة ١/ ٢٦٤، البداية والنهاية ٨/ ٢٩٢.

(3) انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ١٧٦، الفرق بين الفرق ص٩٠.

ثانياً: أنهم قد بلغوا في العبادة مبلغا عظيما، وهذا تصديق لكلام النبي ﷺ: «**يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم**»، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما وصف به أبو حمزة الشاري أصحابه في خطبته لأهل المدينة لما قال: (يا أهل المدينة: بلغني أنكم تنتقصون أصحابي، قلتم: هم شباب أحداث، وأعراب جفاة. ويحكم يا أهل المدينة، وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شبابا أحداثا، نعم والله إن أصحابي لشباب مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أقدامهم، قد باعوا أنفسا تموت غدا بأنفس لا تموت أبدا، وقد خلطوا كلامهم بكلالهم، وقيام ليلهم بصيام نهارهم، محنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفا من النار، وكلما مروا بآية رجاء شهقوا شوقا إلى الجنة، وإذا نظروا إلى السيوف وقد انتُضيت، وإلى الرماح وقد أُشرعت، وإلى السهام وقد فُوِّقَت، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت، استخفوا وعيدها عند وعيد الله، وانغمسوا فيها، فطوبى لهم وحسن مآب، فكم من عين في منقار طائر بكى بها صاحبها من خشية الله، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعا وساجدا في طاعة الله، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم)[1]. وإنها لخطبة بليغة حقا، تبين حال الخوارج أوضح بيان، وتصف عبادتهم، وما كانوا عليه من الطاعة، والشوق إلى لقاء الله تعالى.

ثالثاً: أن زعماء الخوارج كانت لديهم روح الزعامة والجذب لأتباعهم بما امتازوا به من خصال نادرة ومزايا عديدة، وما عندهم من صفات القيادة

(1) شرح نهج البلاغة ٥/ ١١٥ – ١١٦.

التي جعلتهم في مقدمة الصفوف حتى ضربوا لأتباعهم المثل الأعلى والقدوة العليا في الأخذ بالمذهب، اقتدى بهم الأتباع وساروا على نهجهم، حتى بعد وفاتهم كانت ذكراهم تلهب حماس أتباعهم، وتكون مثالا يحتذون به، كما حدث مع أبي بلال مرداس بن أدية الذي صار معظما عند كل من جاء بعده، وكما ذكرت فإن كثيرا من الفرق قد انتحلته، وادعت نسبتها إليه، حتى قال عنه يوليوس فلهوزن: (صار عند الخوارج القديس الحقيقي، وإن لم يتمثلوه هم في رقة نفسه ودماثة طبعه، فأثار استشهاده أبلغ الحفيظة في نفوسهم)[1].

رابعاً: أن الخوارج مع تعظيمهم لزعمائهم واتخاذهم قدوة، كانوا لا يلبثون قليلا إلا وينقلبوا عليهم إذا رأوا منهم خروجا على مبادئهم، وهذا من غرائب مذهب الخوارج - وما أكثرها - ويلاحظ هذا الأمر كثيرا، كما اختلفوا مع قطري وحاربوه لمدة شهر، بل قد يصل الأمر إلى القتل كما حدث مع نجدة بن عامر لما قتلوه اعتراضا عليه.

وترجع أسباب ذلك –في رأيي– إلى أن الخوارج كانوا من ضيق الأفق وعدم المرونة على جانب عظيم، تحدث الفُرقة بينهم لخلاف ساذج فيتصورونه مقياسا للولاء والبراء، ثم لا يلبث هذا الخلاف أن يكون سببا للقتال. إضافة إلى أنهم قد أشربوا روح التمرد والثورة، فقد كانت عنصرا أصيلا في تكوينهم الفكري، فمن وسعه أن يخرج على الحاكم لجوره، يسعه أن يخرج على أميره إذا رأى منه ما يكره.

---

(1) الخوارج والشيعة صـ ٦٤.

ثم إنهم فرقة مبتدعة، ليس لها أصول ثابتة يرجع إليها عند الاختلاف، وليست على صراط مستقيم، وكل ما ليس على الصراط المستقيم تزيغ به الأهواء، وتضل به الأفئدة، وتتفرق به السبل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1].

(1) سورة الأنعام من الآية ١٥٣.

obeikandl.com